

الثورة الفدائية والثورة النقدية

بقلم مطاع صفي

وإذا كانت الثورة الفدائية أشد وضوحاً وتجييداً من الثورة النقدية ، فإن تطور العمل الفدائي واتساعه تنظيمياً وفعاليتها ، سوف ينخل الثورة النقدية ثمراتها الإيجابية عن القشور وعمما يصحبها من ظواهر عيشية تارة ، وأخرى تهديدية وانحرافية ، ويبقى على عناصرها الجوهرية التي ستؤلف الأساس الموضوعي للفكر العربي التقدمي الجديد .

إن انبثاق ثورة الفداء يقدم برهان مباشر على أن الثورة العربية لم تستطع بعد أن تنجز مرحلة التحرر من الاحتلال الأجنبي . أي أن مرحلة التحرر الوطني ما زالت هي الدور التاريخي الطبيعي الذي تعيش فيه الثورة العربية . فالاحتلال الصهيوني من حيفا إلى الضفة الغربية للاردن عرضاً ، ومن قناة السويس إلى حدود دمشق الجنوبية طولاً ، لا يعني إلا أن قلب الوطن العربي قد عاد إلى السيطرة الأجنبية مرة أخرى . وإذا دققنا في ألفاظنا ، وجدنا أن كلمة (عاد) ليست سوى المجاز ، وأما الواقع ، فإن الاحتلال لم يذهب ، ولم يعد . ولكنه مستمر . واستمراره يتطور من شكل إلى آخر ، حسب ضرورات التحول الظاهري للممارسة الاستعمارية .

ولذلك فإن انبثاق الثورة الفدائية ، يعني تفجير الإداة الوحيدة لمقاومة الاحتلال ، وهي أداة التحرير الشعبية ، أي النضال المسلح . ولقد كان على الثورة العربية أن تكشف هذه الإداة طيلة العشرين من الأعوام المنصرمة ، التي انقضت في الصراع الفئوي الضيق ، الفاقس للقاعدة الشعبية ، الهادف للسلطة ، المنسحب من الاصطدام الواقعي مع قوى الاحتلال المباشر وغير المباشر ، الداخلية والخارجية .

فإذا كان الاستعمار الصهيوني قد تم له احتلال قلب الوطن العربي خلال أقل من عشرين عاماً ، فمضى ذلك أن قوى الاحتلال كانت تتعاطم طيلة الفترة ، التي كانت فيها الثورة العربية تعتقد أنها تنمو وتقوى ، وليس العكس ، كما تراءى لنا في أوامنا الأيديولوجية والإعلامية السابقة .

ومعنى ذلك أيضاً ، أن شعوب العالم الثالث تخدع نفسها عندما تعتقد أن ثمة مراحل عليا بعد إنجاز التحرر الوطني . والحقيقة أن الهدف كله هو بلوغ التحرر الوطني ، وهو ما زال أبعد هدف ، وخاصة في العالم العربي . إذ أن الاستعمار ما زال منشئاً بفكرة الاحتلال ، ولكنه حاول أن يحققها بوسائل خادعة جديدة . ولعل من أخطر هذه الوسائل اقتناع الشعوب بأن جلاء الجيوش للدول المستعمرة التقليدية كبريطانيا وفرنسا ، معناه تحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية . إذ أن التجربة العربية توضح أن الاستعمار عندما يعتقد أن أسس الاحتلال غير المنظور تواجه تهديداً حقيقياً ، فإنه يلجأ إلى لعبة الاحتلال المنظور ، بقواه ، أو قوى غير مباشرة ، تابعة له . أن جلاء الجيوش الفرنسية عن سوريا ولبنان ، والجيوش البريطانية عن العراق ومصر والاردن والخليج العربي ، قد حل محله ، ومنذ البداية ، الاحتلال الصهيوني في الأرض التي تتقاطع عندها أوطان العرب جميعها . وهو سائر في طريق التوسع حتى يتم له تحقيق الانفصال التاريخي الأكبر ، حلم أوروبا القديم ، بين جناحي الأمة العربية ، المغرب والمشرق . وهو سائر كذلك ، في طريق اغلاق ساحل البحر الأبيض المتوسط من شماله إلى جنوبه ، دافعاً بالعرب .. نحو الداخل ، نحو الصحراء !

تتضح أزمة الثورة العربية يوماً بعد يوم ، على ضوء الانتصارات ، أكثر مما تتضح على ضوء الهزائم والنكسات . ذلك أن الهزيمة سريعاً ما تكشف للعيان عن عواملها وأسبابها ، وإن كان ذلك بعد وقوعها . وأما الانتصار فمن الصعب أن يرى الوجدان العام عيباً فيه ، أو نذيراً بخاطر وانتكاس . وهو لأنه انتصار ، فإنه يعفي الكثيرين من حمل الفلج أو الحذر ، ويفرق الوعي القومي بالخطر الكسول ، وتبدأ حركة التملص من المسؤوليات ، والفائتة على التكتلات الرسمية أو ما يشبهها .

وقد يرى الناس أننا لا نعيش في هذه الأيام أي انتصار . وإن بلاد الهزيمة وحدها هي التي ما زالت تفرقنا في مستنقعها . ولكن عندما نستوعب حقيقة المنعطف التاريخي الذي تمر به الثورة العربية اليوم ، وهي تتحقق بأسلوب الثورة الفدائية على صعيد العمل ، وأسلوب الثورة النقدية على صعيد النظر ، فإننا نكتشف ولا ريب ، أننا نعيش لحظة أعداد الانتصار . انتصار حقيقي هذه المرة ، لا جلبة له ولا دعاية ، لا أبواب ولا برامج اذاعية وأناشيد حماسية . إنه من طبيعة الثمرات الاجتماعية والتاريخية ، التي قد لا يهدف إليها تنظيم أو قيادة مسؤولة . ولكنها تختمر وتتحقق ، وتبني ظاهرها الواقعية بفكرها وعلائقها الموضوعية الخاصة ، وتفرض موضوعيتها تلك بقوة القوانين الجغرافية والفيزيائية ذاتها . ولا فرق أن استطاع أن ينتهزها إليها وعي فيلسوف ، أو حذافة سياسي ، أو براعة انتهازي . فلقد سبقنا دائماً تحولات الأرضية التاريخية الاجتماعية لمختلف ظواهر الثورة والسياسية والفكرية . وكان الانقسام الواقع بين هذه الأرضية وبين الوعي ، هو الأساس لكوننا نخون الثروات العفوية ، التي تقدمها لنا تحولاتنا الارادية ، المثبقة من حركة المجتمع ذاته ، ونستبدلها دائماً بالعملة المزيفة ، فنصنع لنا سوقاً من البضائع الوهمية ، وننصب فوق رؤوسنا طواحين الدون كيشوتية ، في عصر العقول الالكترونية ، ونهتبل الاضواء الصارخة لنختصر الطريق الاصيل نحو بناء الحقيقة بوضوئها البسيط المتواضع .

فمن نافلة القول إذن أن ندعي ، ونحن في قعر الهزيمة ، أننا منتصرون . ولكن من العجز الفكري أيضاً أن نخاف من مواجهة البوادر التحولية الجذرية ، التي تمور بها أرضية وجودنا الاجتماعي والتاريخي ، من خلال ظروف النكسة ذاتها . إن هذه التحولات هي مؤونة الانتصار الجديد . ولذلك كان لهذا الانتصار أيضاً أخطاره ونذيره ، كما أنه إيجابيته وبشيره .

إن هذا الانتصار يتجلى في هذا التحقق الموضوعي لوجهي الثورة العربية الجديدة : الثورة النقدية ، وأدائها الواقعية المباشرة ، الثورة الفدائية .

إن الثورة النقدية يمارسها اليوم المجتمع العربي بكل طبقاته وأفراده وفئاته . وتنعكس انعكاسات متفاوتة على بعض الإنتاج المكتوب ، الذي يساهم فيه جيل جديد من المفكرين والادباء والشعراء ، وبشترك فيه مثقفون من مختلف الاتجاهات والمواقف ، وخارج المواقف المصنفة المعروفة سابقاً .

وحتى لا تأتي هذه الثورة النقدية عبثاً في الفراغ والتجريد ، فقد اقترنت تلقائياً بنمو الثورة الفدائية ، على أرض الواقع والحياة اليومية لمراحل ما بعد الهزيمة .

ان تجديد الاحتلال يثبت هذه المرة من فكرة التملك والتوطين ، بدلا من السيطرة الخارجية بالجيوش النظامية والادارة الاجنبية . هنا يتحقق يوما بعد يوم مخطط الغزو المتملك من الوطن ، بطرد مواطنيه خارجا عنه . أمام هذا الواقع ليس للثورة العربية الا العودة الى شكل الثورة الوطنية المسلحة .

وإذا كان لدينا في تاريخ ثوراتنا الوطنية بعض النماذج من الثورات الفلسطينية والسورية والعراقية والمغربية ، وصولا الى اعلاها وهي ثورة الجزائر الحديثة ، فان ظروف هذا النوع الجديد من تطويع الاحتلال الى شكل الغزو المتملك (1) ، يفترض قيام ثورة من نوع خاص وفريد ، لم يسبق له مثيل تقريبا .

والعطب الاساسي الذي نخسر صميم الثورة العربية المعاصرة ، ابتداء من الخمسينيات ، هو انها لم تدرك حقيقة هذا الغزو . وكان من جراء ذلك انها لم تمر بالمرحلة النقدية الشاملة ، وعجزت عن تحريك امكانيات الامة العربية من جذورها الشعبية ، وطاقاتها الحضارية . فتحولت الى منطق الصراعات السياسية المحلية ، مستخدمة مشكلة فلسطين كظاهرة اعلامية ، لا غير .

واما اليوم ، فان مناخ الاثارة الذي حققه الغزو الاسرائيلي الجديد ، قد بدأ يخلق تحريضا كيانيا يوضح شيئا فشيئا أسس الوعي بالفزو والرد عليه . ولقد بدأ هذا الرد بانثاق الفدائية . وانطلقت الفدائية بحرب الافراد ، وهي نفسها المقدمة الطبيعية لحرب الشعوب .

ان الوعي بالفزو يتحقق من خلال الكشف عن طبيعة الغزو وعقليته وأدواته وقواه الخلفية المتقدمة ، وفي الوقت ذاته يكشف عن طبيعة المقاومة ، وما يمكن ان تثيره من مشكلات كيانية شاملة ، وواقعية مباشرة . فما هي اسرائيل ، وكيف يقوم مجتمعها ، وما هي اسس تكوينها القريبة والبعيدة ، وما هي علاقاتها المصيرية بمصالح الدول الكبرى ، ذلك هو السؤال الذي يثيره الوعي بالفزو والفزاة .

ومن هي الامة العربية ، كيف يقوم مجتمعها ، وما هي مشكلاتها الثقافية والمادية ، وما هي امكانياتها الظاهرة والكامنة ، وكيف يمكن تنظيمها كلها في اطار الامة المقاومة ، ذلك هو السؤال الثاني الذي يطرحه الوعي بالفزو ، ليكشف عن المقاومة والمقاومين والسيرورة الكفاحية الجديدة ، التي ستغير وضع التحدي الاساسي كله .

ان الثورة النقدية ، تحقق لهذا الوعي بالفزو ، بشطريه : التحدي والرد ، المدخل الاساسي الذي يصفل الوعي من جميع اوامه ، عن عدوه وعن ذاته ، ويحقق لأول مرة ، المواجهة الكاملة بين الحقيقة والثورة . ولا يمكن للثورة ان تقوم بهذه المواجهة الكاملة للحقيقة ، الا اذا تحررت من نوعين من الالهام : الالهام الايديولوجية ، والالهام الذاتية للمجتمع غير الثوري ، والتخلف . والالهام الايديولوجية تقوم على الانفعال الاممي ثقافيا ، والماهرق نفسيا ، بالنظريات بدون قدرة على النقد والتمحيص والمقابلة ، وبدون قدرة على الملامة بين الفكرة الصحيحة ومكانها من الواقع والمجتمع .

والالهام الذاتية تقوم كذلك على الانفعال غيبيا وآليا ، بعقلية التخلف وآليات سلوكه واعتقاداته . ومحاوله تغطية هذا الانفعال ، اما باصطناع البرجة الغربية الظاهرة ، او باصطناع الثورة المراهقة الامية . هذا هو الوجه الداخلي للمواجهة الكاملة بين الثورة والحقيقة . اما الوجه الخارجي لها ، فيتحقق بالاعتراف الموضوعي الكامل بكل ما لدى الغزو والفازي من وجود عقلي وعلمي واجتماعي وعسكري ، وفهم قوانين هذا الوجود كما هو ، لا كما تشتهي امراضنا وعقدنا .

1 - يجب الاعتقاد أنه حتى في حال انسحاب اسرائيل من بعض الاراضي المحتلة ، فان مخطط الغزو لن تتخلى عنه اسرائيل ، وسيظل هذا المخطط في اوقات السلم فعلا من وراء حدودها ، السى ان تحين فرصة جديدة للتوسع وهكذا . وهذا يعني ان وجود اسرائيل صغيرة او كبيرة ، يعني وجود امكانية الغزو ، اليوم وغدا .

يبقى ان عملية هذه المواجهة بين الثورة والحقيقة ، بوجهيها الداخلي والخارجي ، يتطلب منا كذلك وفي الاساس - وهذا اهم شرط - تحقيق الطرف الاولي للممارسة النقدية ، وهو التفكير والمقايسة بحسب ثقل الحقائق المدروسة نفسها ، لا بحسب الاعتبارات الخاصة بآية مؤسسة ، لها سلطة الكبت ، والتخويف ، وفرض اشباه الحقائق .

فالفدائية التي تنطوي على الشهادة الكاملة ، تتطلب الفدائية في حقل المواجهة النقدية ، في جو البراءة الذاتية الكاملة ، والعراء الموضوعي من أية سلطة فكرية او اعتقادية .

ان حرب التحرير من الفزاة ، ينبغي ان تدعمها حرب التحرير من الالهام والعقبات الداخلية ، التي تبعد قوى المقاومة أو تضللها ، أو تحرفها عن هدفها الاصلي . ان فك الطوق عن مشكلة البحث عن قوى المقاومة وراء الشهداء والابطال ، يتطلب سيادة نموذج العالم فوق نموذج الثوري التقليدي ، وسيادة فعالية العلم فوق فعالية التخلف والثورية التقليدية .

وتأتي الثورة الجديدة ، لكي تضع الخطة المثلى لتنظيم القوى الحقيقية للامة ، وجعلها ترد على وجهي التحدي على الغزو المنظم بالمقاومة المنظمة ، وعلى التخلف الموروث بالتقدم الشمولي والتحديث الموضوعي .

ونحن اليوم في منطق هذا الطريق ثورة نقدية ، وثورة فدائية . ولكننا وفقنا في هذا المنطق بحكم الظروف الموضوعية . ولم تتم لنا بعد عمليات الوعي الكامل لهذا الموقف ، وكيف يمكننا ان نستخرج منه كل امكانياته ، وان نمي منه خطة المستقبل الثوري الجديد .

والواقع ان الثورة الفدائية تنقل الثورة العربية لأول مرة الى أرض الكفاح الدموي الحقيقي ، كوسيلة مطلقة للرد على الغزو الخارجي من جهة ، والرد على التخلف الثوري داخليا . فان انتظام الجيل في أخلاقيات الفدائية يدخل الامة عصر المظهر العظيم ، الذي لم تعان بعد ، منذ أقدم ثوراتها الداخلية الفاصلة . فبدلا من التأمر السياسي ، والممارسات الفئوية ، وأشكال المراهقات المتأدلجة ، في نطاق الثورات التقليدية ، تنبجس الشعلة الفدائية لتحديد الجهات الحقيقية ، على اساس التضحية بالدم .

وبدلا من صور التمرد الفردي والعبي ، والانحرافات العقلية والخلفية ، التي عمت جيل النكبة الاولى ، فان جيل الثورة الفدائية ، تقدم له تاريخيته أعظم الظروف موضوعية لخلع تاريخ ، وتأسيس التاريخ الموعود . ذلك ان الثورة الحقيقية لا تولد الا بجيل من الضحايا الواعية .

غير ان فدائيتنا المعاصرة تصحبها في الآن ذاته ، حركة شاملة في التطهر العقلي من الفيسيات ، والتطهر الاخلاقي من نفاق الاستعداد واستراق القيم المزيفة ، والتطهر العملي من ممارسة الانواء والانحراف والدسائس الانقلابية . فكلما تعاضمت معركة الفداء على الحدود ، كلما تهيأت أسس الاعداد لاخلاقيات الحرب الشعبية الصحيحة السليمة ، خارج الشعارات والشراذم .

ومن هنا جاء الوعي بالثورة الفدائية ضرورة كيانية لاستمرارها ، وتطورها الى الحرب الشعبية المنظمة ، من أعماق الداخل الى حدود الخارج . فما تحتاجه هذه الامة لولادة حقيقة ، هي حرب واحدة حقيقية ، حرب الشعوب وراء الجيوش ، وليس الجيوش بدون الشعوب . ان اعادة تنظيم المجتمع العربي حسب استراتيجية الحرب الشعبية ، يعني تشريك المجتمع كله بمصيره . وهذا يعني اذابة أي شكل من أشكال الاقطاع السياسي القديم والحديث ، والنوص الى أعماق الكتلة الجماهيرية الكبرى ، التي ما زالت غائبة عن الفعل ، أسيرة للانفعال السلبي وحده ، بما يقسال لها ، وبما يعمل باسمها ، وبالنيابة عنها ، قسرا أو جهلا .

٤٧ الجرح لا يساوم رشاد ابو شاو	١ هذا العدد « الآداب »
٤٨ الحروف من رصاص (قصيدة) مهدي بندق	٢ الثورة العربية والفكر العربي احمد عباس صالح
٤٩ الفدائي وأنا (قصيدة) خلدون الصبيحي	٤ القضية (قصيدة) نزار قباني
٦٥ عودة الصياد (قصيدة) فؤاد الخشن	٥ الثورة الفدائية والثورة النقدية مطاع صفدي
٦٦ كنا خمسة (قصة) د. فاروق بيضون	٧ زهرة من دم (مسرحية) د. سهيل ادريس
٦٩ عن العام ١٩٦٩ (قصيدة) فوزي كريم	١٢ هذا التراب الغريب المربع د. مصطفى شاكر
٧٠ شعر المأساة في الارض المحتلة صبري حافظ	١٤ الانسان والارض والموت (قصة) سليمان فياض
٧٧ يوم غير عادي في حياة موظف عادي	١٧ الاسس العامة لنقد ادب المقاومة العربية د. عز الدين اسماعيل
(قصيدة) يسرى خميس	١٩ فدوى طوقان والبحث عن رؤيا جديدة د. عبد المحسن طه بدر
٧٨ الليل والرجال (قصة) وليد حاج عبد	٢١ قصاصات ورق (قصة) فاروق منيب
٨١ حكاية الولد الفلسطيني (قصيدة) احمد دحبور	٢٣ نشيد الكرامة الانسانية والضمود ايليا الحاوي
٨٢ في الثورة الفلسطينية وادب احمد محمد عطية	٢٥ مسرحيات القتال او الصراع على الارض سامي خشبة
غسان كنفاني	٢٧ محمود درويش قفزان في عشر سنوات غسان كنفاني
٨٦ حديث الدرب (قصة) يوسف احمد المحمود	٢٨ القدس في عينين (قصيدة) راشد حسين
٩١ رثاء شهيد (قصيدة) حسن فتح الباب	٢٩ ايدولوجية الفداء : اتجاهات ونماذج امير اسكندر
١٠٠ ماذا نقول للصغار (قصيدة) مي علوش	٣٠ استراتيجيات العمل الفدائي سمير كرم
١٠١ الطير تاكل من رؤوسهم (قصة) عبد الرحمن مجيد الربيعي	٣١ الرفض (قصة) محمود الريماوي
١١٣ غور الاردن (قصيدة) محمد عبد الرحيم	٣٣ المرأة (قصيدة) ممدوح عدوان
١١٦ سينما المقاومة خيرية البشلاوي	٣٤ قضية فلسطين : من مستوى جورج طرابيشي
١٢٣ اشياء عن الارض والمقاومة (قصيدة) سعد الله حرب	الدعاية الى مستوى التضامن الاممي
	٤٠ المسافر والقضية (قصيدة) تركي الحميري
	٤٢ التشكيل الثوري في «اغنيات المعركة» محمد الجزائري
	٤٦ اعترافات للشوار الملتهم (قصيدة) فايز خضور

النشاط الثقافي في العالم

١٣٣ فرنسا : الحائط الذي في اورشليم وحيد النقاش

عملية تشييل للمجتمع وتشريك له ، في صنع حضارة التقدم داخليا ، وبناء الدرع الحقيقية لصد حربة الغزو وتحطيمها ، وصولا الى اجتثاث جنورها في معامل الغزو ومزارعها وبنوكها داخل الارض المحتلة . ان جهد الثوريين اليوم هو تعميم الفدائية ، لتصبح غير اقليمية ، قومية ، وانسانية يفهمها المناضلون في جميع أنحاء العالم ويدعمونها ، وان جهد الثوريين هو بناء الفدائية على العقلنة الشاملة لمعطيات المعركة من أقصى مؤناتها الفكرية والبشرية والمادية ، الى اقربها في سلاحها وحرركاتها .

ولكي لا تصبح الفدائية مجرد رد فعل آني ، ضمن ظرف سياسي اكثر مما هو عسكري ، فان الثورة النقدية تستطيع ان تبني استراتيجية كاملة بناء على واقعية الفداء ، وتطويره الى مراحل الرد القومي الشامل الذي يجذب المجتمع الى فرض التشريك الكامل بصنع الدرع ، عقلها وحديدها وسواعدها . ان مجتمع الغزو المنظم يتحدى مجتمع غزو الغزو . ولقد ولد الرد على التحدي بملاحم الثورة الشاملة ، التي يصنعها الفداء والنقد ، ثنائية من الحاضر الى المستقبل .

مطاع صفدي

الثورة الفدائية والثورة النقدية

- تتمة المنشور على الصفحة ٦ -

ان المعرفة بالتنظيم الاجتماعي العسكري الذي تقوم عليه دولة العدو ، تقدم لنا صورة مباشرة ، عن هذا الكيان المد للغزو بكل طاقاته البشرية والمادية والتنظيمية . وهو مجتمع مشرّك كله في مصير الغزو والهجوم والاستيلاء . انه يعمل وينتج صناعيا ، وزراعيًا ، ويجيش ذاته باستمرار . انه يحاول أن يوحد بين مجتمع المصنع والمزرعة والتكنة والجامعة في آن واحد . وبذلك يظل كله رأس حربة متقدمة ، وأصولها غارقة في نظام مجتمع للتشريك الشامل . وبذلك تستمد رأس الحربة هذه قوتها من كل الجنود المرتبطة بها داخل مجتمع التشريك .

ان المجتمع العربي العاطل عن العمل والحرية ، البعث خارج كل اطار للتشريك ، يواجه اليوم ، اعتبارا من الفدائية الى الحرب الشعبية (الصحيحة) ، عملية تحويل الاهداف الثورية السابقة كلها ، الى